حول مهرجان جامعة أدباء العروبة بالفيوم :

فى موكب الشعر

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

قرأت هذه القصائد الثلاث التى أنشدها الأساتذة الغزالى وطاهر والعوضى فى مهرجان أدباء العروبة بالفيوم والتى نشرتها « الرسالة » فوجدت فيها من قبس الفن، وروح الشاعرية ، واختلاف المواهب الفنية فى الشعر ، ومن طريقة كل شاعر فى التصوير ، وأسلوبه فى البيان ، ما يستحق النقد والدراسة .

شعراؤنا الثلاثة متشابهون فى الثقافة ، متقاربون فى النزعات ؛ ربطتهم صلاتُ الصداقة والأدب والدراسة فى مدرسة واحدة ، والحياة فى ميدان واحد ، أو كالواحد ، بروابط قوية متينة ؛ ولكنهم مع ذلك يختلفون فى نزعاتهم الفنية اختلافاً كبيراً .

فالغزالى شاعر وصاحب فن فى شعره ؛ وطاهر شاعر يعلن بشعره الثورة على الحياة ؛ والعوضى شاعر صناع يحفل شعره بالصنعة الهادئة الجميلة ؛ وهذه النزعات الفنية المتفاوتة تكاد تلمسها فى هذه القصائد الثلاث كما تقرؤها فى ملامح وجوههم وألوان حياتهم

طوى «الغزالى» الصحارى فى سفره لرياض الفيوم الساحرة بعد ما هزّه الشوق لزيارتها ، وصوّر ذلك كلّه فى مطلع قصيدته الرائع :

من لسارٍ إليكِ يطوى الصحارى
هزّه الشوقُ أن يزور فزارا

ثم يصور عواطفه وإجهاده وقلقه وسهده قبل سفره وتطلعه إلى الفيوم لتزيل عنه أثر كل هذا العناء فى تصوير جميل أخاذ فاتن :

عابراً كالطيوف ولهانَ كالأنسام
هيمان كالأمانى الحيارى
مُجْهَداً علّ فى ظلالكِ مأوى
قلقاً علّ فى رُباكِ قرارا

ولمَ كان هذا الإجهاد والقلق والشقاء ؟ لقد فارق الشاعر محبوبه و « رفيق صباه » فعاش عيشة البائس الشقى المحروم من أجمل ما فى الحياة :

يا جنان الفيوم نازحُ أيكٍ   بانَ عن عشه إليك وطارا
قد خلا العش من رفيق صباه   فمتى تألف القطاةُ الهزارا
نسلتْ ريشه الليالى طوالا   أترى تصبحُ الليالى قصارا ؟

ويستمر الشاعر يصور آلامه وآماله وعواطفه فى حبّه ؛ متمنياً أن يكون له فى رياض الفيوم سلوى ، شاكياً إلى عذارى الرياض ما يلقاه من أرابهنّ العذارى :

أتراه هنا سيمسى قريراً   فى رياض الفيوم طابت جوارا
ياعذارى الرياض من كل شاد   أنا أشكو إلى العذارى العذارى
أنا أشدو لها جراحى شعراً   فعساها تضمّد الأشعارا

ثم تذكر بحيرة قارون فى دجى الليل بمحبوبه ، فيشدو ويصدح مؤكداً وفاءه لعهد الأحباب :

يا أحبّاى والديار تناءت   كيف أنسى أحبتى والديارا
لست أنسى ملاعبى والضفاف (م) الخضر تجرى من تحتهن نضارا
لست أنسى بها مواثيق عشنا   نتحدى بصدقها الأقدارا
لست أنسى ولا إخالك تنسين   فحتى متى نطيق انتظارا

* * *

أما « طاهر » فقد شاهد قافلة الشعر تسير إلى الفيوم وفيها الأدباء والشعراء والوزير الضخم فعنى بتصوير هذا الموكب وجماله أكثر من أى شىء ، إنه لموكب رائع للبيان وكما يقول :

موكب للبيان فيه اللواء   يفزعُ الدهرَ وخدُه والحُداء
ضاربٌ فى صحرائها يسبق الركب
جلالٌ من هديه ورُواء
مثلما يسبق الشعاعُ إذا ما   أعلن الصبحَ للوجود ذُكاء

والشاعر لا ينسى نفسه فى هذا الموكب ، وكيف ينسى وهو الذى « فى محرابه يُعبد الفن وتستهوى ضوءه الأضواء » ؟

لو تحس البيداء من سار فيها   لتغنّت من شجوها البيداء
شاعر فى محرابه يُعبد الفنُّ   وتستهوى ضوءه الأضواء
ذو بيان لو عاقرته الندامى   لتناهت عن شربها الندماء
وهتوف يكاد يشرق فى ألحـانه الخير والمنى والرجاء

ثم يعلى شأن الفن فى الحياة ويثور على العلم الذى أصبح المعول الهدّام فى صرح الحضارة :

ومن الشعر ما يملك الحق إذا موّه الوجـــودَ الرياء
ربما استغنت الحياة عن العلم على رغم ما أتى العلماء
وعلى الفن وحده عاش أجـــدادُك دهراً وهم به سعداء

ثم يعود إلى قافلة الشعر وموكب الشعراء ومن فيه من « الأبدال والأدباء » و « الوزير الضخم » ، حتى يحط رحاله فى رياض الفيوم :

وإذا نحن فى رياض من الشعر لها رونق وفيها صفاء

ثم يشيد برحم الفن وصلات الأدب التى جمعت بين أدباء الجامعة وبين أدباء الفيوم :

صلة وثّق البيان عراها وعـاها فكلنا أقرباء
جمع الشعر بيننا فى صعيد ومن الشعر منسب وإخاء

***

أما « الموضى » فقد وصف ذكرياته فى الليالى البعيدة مع أحبائه ، وأثر هذه الذكريات فى قلبه ، ثم وصف روضات الفيوم وجمالها ، و « الأخوان الكرام » الذين استقبلوه هو وصحبه فيها ، وصلات الأدب والمروءة التى تجمع بين الأدباء والشعراء ، يقول :

حدا الركبَ حاديه فأين مكانيا أبين من الأشواق ما كان خافيا
على شفتى من خمرة الحب نشوة تـلهّـبَ ترنيمى بها وغنائيا
لنا ذكريات فى الليالى بعيدة ألا من يعيد اليوم تلك اللياليا

ثم يستمر فى شدوه الهادىء وتصويره المصنوع ، فيصف الفيوم وفتنتها :

سقى الله فى الفيوم روضات فتنة ونضر فيها أربعاً ومغانيا
فراديس منضـورٌ بها الظل والجنى
تألّـقُ نوّاراً وتسحر شاديا

وإخوانه الكرام فيها الذين سقوه صافى الود :

لجئنا لأخوان كرام وصحبة سقونا من الودّ الطهر صافيا

ويشيد بصلة المروءة التى جمعت بين الجميع وبذلك ينتهى من قصيدته :

هذه هى الأغراض العامة لكل شاعر فى قصيدته ، وهى تجمع بين العواطف الوجدانية والوصف الفنى ، وكنا نودّ أن تكون قصائد هؤلاء الشعراء أوسع نطاقاً من هذا الأفق المحدود ؛ ما ضرهم لو كانت قصائدهم فى القرية والحياة فيها أو فى النيل وأثره فى وحدة الوادى ، أو فى العلم وآثاره على الحضارة فى عصر الذرة ، أو فى شتى الأغراض القومية أو الإنسانية العليا ؟ ولكنهم آثروا تلك السبيل الفنية وحدها فلم يشعروا إلا فيها وفيما يتصل بها من العواطف الوجدانية ، وإن كان « طاهر » قد خرج قليلا عن هذا المجال فأشاد بالفن وأعلن الثورة على العلم والعلماء :

إنّ من أطلقوا المقول علينا لست تدرى: أأحسنوا أم أساءوا
ربما استغنت الحياة عن العلم على رغم ما أتى العلماء

أما من حيث الأسلوب : فالغزالى يشعر ويسحر ويبلغ فى التصوير منزلة كبيرة ، نجد ظلا لها فى كثير من أبياته كما يقول عن نفسه :

عابراً كالطيوف ولهان كالأنـ ـسام هيمان كالأمانى الحيارى

وقوله يعبر عن نفسه أيضاً :

يعبر الليل فى خداع الأمانى وتمنّى آصاله الأسحارا

وقوله :

والشوادى من حولنا مرهفاتٌ سمعَها تستبينُنَا الأسرارا

وقوله :

لست أنسى بها مواثيق عشنـا نتحدّى بصدقها الأقدارا

وسوى ذلك من قصيدته التى تمتاز بما فيها من « عيون » كما يقول النقاد ؛ ولكنه على رغم ذلك يخطىء سبيل الفن أحياناً . فبيته :

يا عذارى الرياض من كل شاد
أنا أشكو إلى العذارى العذارى

يقصد فيه العذارى حقاً ؛ فوصفهن بالسحر والفتنة ورقة العاطفة أولى من وصفهن بالشدو ، بل وصفهم بالشدو يكاد يكون لا معنى لتخصصهن به من بين سائر الأوصاف . ولو قال « من كل أحوى » ، مثلا لكان أولى ؛ وتضميد الأشجار فى بيته :

أنا أشدُو لها جراحى شعرا فساها تضمّدُ الأشجاراً

لا معنى له ، فما ألفنا فى القول بأن الأشجار تمثلت جراحاً بل هى استعارة نافرة عن سمع العربى وذوقه . والبيت :

والتى قد تخذتُـها بحداقى خمل أرسلتْ علىّ نثارا

لم أفهمه فوق ما فيه من « تشعيث » قافيته ، وهذه الهنات